الصاعقة العشرون: أقلُّ فعالي بله أكثرهُ مجدُ(*)

أقلُّ فعالي بَلْهَ أكثرهُ مجدُ ... وذا الجدُّ فيه نلتُ أم لمْ أنل جدُّ(١)

سأطلُبُ حقي بالقنا ومشايخٍ ... كأنهمُ منْ طولِ ما التثموا مُردُ

ثقالٍ إذا لاقوْا خفافٍ إذا دُعُوا ... كثيرٍ إذا اشتدوا قليلٍ إذا عُدّوا

وطعنٍ كأنّ الطّعنَ لا طعنَ عندهُ ... وضربٍ كأنّ النارَ منْ حرّهِ بردُ

إذا شئتُ حفّتْ بي على كلِّ سابحٍ ... رجالٌ كأن الموتَ في فمها شَهْدُ(٢)

أذمُّ إلى هذا الزّمانِ أُهيْلهُ ... فأعلمهم فدمٌ وأحزمهم وغدُ(٣)

وأكرمُهُمْ كلبٌ وأبصرُهُمْ عمٍ ... وأسهدُهُمْ فهدٌ وأشجعُهم قردُ(٤)

ومن نكدِ الدنيا على الحُرّ أن يرى ... عدُوًّا له ما منْ صداقتِه بُدُّ(٥)

بقلبي وإن لم أروَ منها ملالةٌ ... وبي عن غوانيها وإنْ وصلتْ صدُّ

خليلايَ دونَ الناسِ حُزنٌ وعبرةٌ ... على فقدِ من أحببتُ ما لهما فقدُ

تلجُّ دموعي بالجفونِ كأنما ... جفوني لعينيْ كلِّ باكيةٍ خدُّ

وإني لتغنيني من الماء نُغبةٌ ... وأصبرُ عنهُ مثلما تصبرُ الرُّبدُ(٦)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم. وكان قد استقبله.

(١) بَله: اسم فعل بمعنى دع.

(٢) حفت: أحاطت. السابح: الفرس السريعة.

(٣) الفدم: العيي عن الكلام. الوغد: الخسيس.

(٤) أسهدهم: أسهرهم.

(٥) النكد: قلة الخير.

(٦) النغبة: الجرعة. الربد: النعام.

وأمضي كما يمضي السّنانُ لطيّتي ... وأطوي كما تطوى المجلّحةُ العُقدُ[١]

وأُكبِرُ نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ ... وكلُّ اغتيابٍ جُهدُ مَنْ ما له جُهدُ

وأرحمُ أقوامًا من العيّ والعبا ... وأعذرُ في بُغضي لأنّهم ضدُّ

ويمنعني ممن سوى ابن محمدٍ ... أيادٍ له عندي تضيقُ بها عندُ

توالي بلا وعْدٍ ولكن قَبْلَها ... شمائلهُ منْ غيرِ وعدٍ بها وعدُ

سرى السيفُ مما تطبعُ الهندُ صاحبي ... إلى السيفِ مما يطبعُ اللهُ لا الهندُ[٢]

فلمّا رآني مقبلًا هزّ نفسهُ ... إليّ حُسامٌ كلُّ صفحٍ له حدُّ[٣]

فلم أرَ قبلي منْ مشى البحرُ نحوهُ ... ولا رجلًا قامتْ تُعانقُهُ الأسدُ

كأنّ القسيّ العاصياتِ تُطيعُهُ ... هوًى أو بها في غيرِ أنُملِهِ زُهدُ

يكادُ يصيبُ الشيءَ من قبلِ رميهِ ... ويمكنُهُ في سَهْمِهِ المرسلِ الردُّ[٤]

وينفِذُهُ في العقدِ وهو مضيَّقٌ ... منَ الشعرةِ السوداءِ والليلُ مسودُّ

بنفسي الذي لا يُزدهى بخديعةٍ ... وإن كثرتْ فيها الذرائعُ والقصدُ[٥]

ومن بُعدُهُ فقرٌ ومن قُربُهُ غنًى ... ومن عرضُهُ حُرٌّ ومنْ مالُهُ عبدُ

---

(١) الطيَّة: المكان الذي يُنوى قصده. أطوي: أجوع. المجلحة: صفة للذئب. العُقد: جمع أعقد، وهو ملتوي الذنب.

(٢) طبع السيف: عمله وصنعه.

(٣) الصفح: جانب السيف.

(٤) المرسل: المطلق من اليد.

(٥) ازدهاه: استخفّه. الذرائع: جمع ذريعة، وهي الوسيلة.

ويصطنعُ المعروفَ مبتدئًا به ... ويمنعُهُ من كلِّ منْ ذمُّهُ حمدُ

ويحتقرُ الحُسّادَ عن ذِكرهِ لهمْ ... كأنهم في الخلقِ ما خُلقوا بعدُ

وتأمنُهُ الأعداءُ منْ غيرِ ذلةٍ ... ولكنْ على قدرِ الذي يُذنبُ الحِقدُ

فإن يكُ سيّارُ بنُ مُكرمٍ انقَضَى ... فإنكَ ماءُ الوردِ إن ذهبَ الوَردُ

مضى وبنوه وانفَردتَ بفضلِهِمْ ... وألفٌ إذا ما جُمّعتْ واحدٌ فَردُ

لهمْ أوجهٌ غُرٌّ وأيدٍ كريمةٌ ... ومعرِفةٌ عِدٌّ وألسنةٌ لُدُّ[1]

وأرديةٌ خُضرٌ وملكٌ مطاعةٌ ... ومركوزةٌ سُمرٌ ومقربةٌ جُردُ[2]

وما عشتَ ما ماتوا ولا أبواهُمُ ... تميمُ بنُ مرٍّ وابنُ طابخَةٍ أُدُّ

فبعضُ الذي يبدو الذي أنا ذاكرٌ ... وبعضُ الذي يخفى عليّ الذي يَبدو

ألومُ بهِ منْ لامني في وداده ... وحُقَّ لخيرِ الخَلقِ منْ خَيرِهِ الوُدُّ

كذا فتنحّوْا عن عليّ وطُرقِهِ ... بني اللؤمِ حتى يَعبرَ الملكُ الجعدُ[3]

فما في سجاياكمْ منازعةُ العُلَى ... ولا في طِباعِ التُّربَةِ المِسكُ والنّدُّ

---

(١) غرّ: جمع أغر، وهو الأبيض المشرق.

(٢) الأردية: الملاحف. المركوزة: صفة للرماح. المقربة: الخيل المربوطة عند البيت. الجرد: ضفيرة الشعر.

(٣) الجعد: الكريم.